

التهجين

المبحث السادس من القسم الثالث في كتاب Cultural Geography
كاثارين ميتشل

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

" هجين " هي كلمة القرن التاسع عشر ، لكنها أصبحت ملغًا لنا مرة أخرى . وهكذا يذكرنا روبرت يونغ (1995 ، 6) بالأصل التاريخي لهذا المفهوم المعاصر الشعبي ، وهو مصطلح ذو آفاق مخالفة بشكل مثير في التحليل الثقافي ، لكنه مثقل بشكل كبير بدلالات عرقية وبيولوجية من الماضي . في السنوات الأخيرة ، ظهر التهجين كمصطلح نظري مهم في عدد من المجالات المختلفة ، بما في ذلك علم اللغة ، والدراسات الثقافية ، والنقد الأدبي ، وتحليل ما بعد الاستعمار ، والعلاقات بين الطبيعة والمجتمع . بينما يتم استخدام المصطلح بشكل مختلف قليلاً في كل مجال من مجالات التفكير هذه ، فإنه يشترك أيضاً في عدد من الخصائص عبر التخصصات . من الواضح أن السمة الأساسية للتهجين هي فكرة التكامل والانتشار ، **أشياء مشتق من مصادر غير متجانسة ، ويتكون من عناصر غير متجانسة .** يحمل الهجين العضوي الآثار المادية لهذه العناصر الأصلية غير المتجانسة ، لكنه **يظهر ككيان متميز ، كشيء بحد ذاته .** تتضمن المرادفات الشائعة لعمليات التهجين كلمات مثل "التوفيق بين المعتقدات" و "المستيزاجي" ، ولكن تميل هذه المصطلحات إلى تقييدها بطرق معينة ؛ التوفيق بين المعتقدات يرتبط عموماً بالاندماج الديني ، بينما يستخدم المستيزاجي بشكل شائع للإشارة إلى الخلاط العرقية . وبالمثل ، فإن "التطعيم" له دلالة بيولوجية مميزة ، بينما تستخدم كلمات مثل "كربول" و "بيجين" بشكل أساسي للدلالة على الخلطات اللغوية . إن التهجين نفسه هو الذي وفر إطاراً تفسيريًا أوسع لفكرة عملية خلط إبداعية أدت إلى تكوين شيء جديد ومختلف بشكل واضح ، ولكنه يحتوي في داخله على آثار أسلافه (غالبًا ما تكون متناقضة).

يبشر العديد من المنظرين الثقافيين الذين يعملون في المقام الأول مع النصوص وتحليل الخطاب بالطرق التي يمكن لمواقف الموضوعات الهجينة على ما يبدو أن تسهل الاتصالات متعددة البؤر وإنتاج أشكالاً ثقافية توفيقية . بسبب النقص الواضح في الهوية الجوهرية أو الثابتة (من خلال الاشتقاق من مصادر غير متجانسة وعناصر غير متجانسة) ، يمكن للهجين أن يقف كقناة مثالية لفهم ما بعد البنيوي لمزايا التعددية والتناقض وعدم الثبات . بسبب ديالكتيكية ، لا / ولا طبيعتها ، غالبًا ما يتم الاحتفاء بالهجين كعملية وليس شيئاً ؛ إن مقاومته المتأصلة للثنائيات الثابتة تجعله يظل في حالة دائمة من التدفق ، مرتبطاً ولكنه لا ينشأ من أو يتسبب في لحظات أو مسافات أو كيانات أخرى . بالنسبة للعديد من المنظرين الثقافيين ، فإن عدم القدرة على اتخاذ القرار المتناقض هذا هو الذي افترض التهجين والهجين كمحاورين مثاليين لمقاومة أنواع مختلفة من السرديات الجوهرية والتميزة .

أول تجديد رئيسي للتهجين كمفهوم نظري مفيد قام به ميخائيل باختين ، في مناقشته للخيال الحوارية . في نص مؤثر ، تُرجم إلى الإنجليزية في أوائل الثمانينيات ، حدد باختين نظرية التهجين اللغوي الذي أكد فيه على إمكانية أن تكون اللغة مزدوجة الصوت ومتضاربة داخلياً . لقد كان مهتماً بإظهار قدرة اللغة على أن تكون " لغتين اجتماعيتين في حدود كلام واحد " ، وهو كلام قد يعبر ، اعتماداً على نبرة المتحدث وصوته وأسلوبه وشكله ، عن مواقف مختلفة ، أو يحمل معارضة أو متناقضة المعاني (باختين 1981 ، 358) . من خلال استخلاص أمثلة من الروايات الإنجليزية المصورة للقرن التاسع عشر ، يؤكد ، ليس فقط على قدرة اللغة على أن تكون متناقضة وغير قابلة للتقرير في مواجهة المعاني المنطوقة لصوت معين ، ولكن أيضاً كيف يمكن لهذا الصوت أن يشكل إشكالية للآخر في الشيء نفسه فعل الكلام . كتب باختين (304-305) ، ما نسميه البناء الهجين هو كلام ينتمي ، من خلال علاماته النحوية والتركييبية ، إلى متحدث واحد ، ولكنه يحتوي

في الواقع على مزيج من كلمتين ، وطريقتين في الكلام ، ونمطين ، و "لغتين" ، نظامان للاعتقاد الدلالي والأكسيولوجي . نكرر ، لا توجد حدود رسمية - تركيبية ونحوية - بين هذه الأقوال والأنماط واللغات وأنظمة المعتقدات ؛ يحدث تقسيم الأصوات واللغات في حدود كل نحوي واحد ، غالبًا في حدود جملة واحدة . يحدث في كثير من الأحيان أنه حتى الكلمة نفسها ستنتهي في وقت واحد إلى لغتين ، نظامين من المعتقدات يتقاطعان في بناء هجين - وبالتالي ، فإن الكلمة لها معنيان متناقضان ، ولهجتان .

بالنسبة لختين ، من الواضح أن جميع اللغات المعاصرة هي نتاج اختلاط تاريخي تطوري للغات ، لكن هذا النوع من المزج التاريخي يمثل شكلاً من أشكال التهجين اللاواعي أو "العضوي" ، وهو جزء من عملية اندماج لا هواده فيها وغير محسوسة عبر الزمن . إنه يميز بشكل حاد بين هذا الشكل من أشكال التهجين غير المتعمد وما يسميه ، التهجين "المتعمد" ، وهو عمل واع وسياسي للغاية خرب وتسوية من خلال تقسيم المعنى وفصله . ينبع تركيز باختين على التوترات الداخلية داخل اللغة من هذا الاهتمام الخاص بالتهجين الواعي المتعمد ، لأنه أدرك إمكانات التخريبية للتعبير المزدوج داخل اللغة . كتب ، "[أنا] الهجينة الدلالية المتعمدة هي حوارية داخلية حتمية (متميزة عن الهجينة العضوية). وجهتا نظر ليستا مختلفتين ، لكنهما يتعارضان بشكل محايد "(360). أدرك باختين أن ازدواجية التهجين "الحوارية الداخلية" ، ودمجها مع غير القابل للاستخدام ، والمحاكاة الساخرة والتناقضات ، هي الصفات التي يمكن أن تقوض شرعية الصوت الوحيد الموثوق . كما يلاحظ يونج (1995 ، 20) ، فإن هذه الطبيعة المثيرة للجدل للتهجين المتعمد ، حيث يتم احتواء عكس الشيء أو نقيضه داخله وفي الوقت نفسه ضده ، هو الذي يوفر اللحظة التي يكون فيها " صوت واحد قادرًا " لكشف قناع الآخر "و" يتم التراجع عن "الخطاب الموثوق".

ليس من المستغرب أن تكون نوعية المقاومة المتضمنة في تفويض الصوت الواحد للسلطة لا تقاوم بالنسبة لعدد من المنظرين الثقافيين وما بعد الاستعمار في الثمانينيات . واحدة من أكثر الاشتقاقات إثارة للاهتمام تلك التي نشأت عن تحليل باختين اللغوي للتهجين وكانت في عمل هومي بهابها (1985 ، 1990) ، الذي نقل مفهوم التهجين إلى حالة الاستعمار . مثل باختين ، كان بهابها مهتمًا بالتنوع التخريبية للحظة الحوارية ، والتي طبقها على العلاقات المادية الملموسة والسرديات التي تحدث بين المستعمرين والمستعمرين . سعيًا لإيجاد مساحة محتملة للمقاومة من شأنها مواجهة سلطة السيطرة الاستعمارية ، استغل بهابها إمكانات التهجين لخلق تلك المساحة من خلال التناقض اللغوي . من خلال نقل أفكار باختين مباشرة إلى الحالة الاستعمارية ، سعى إلى إظهار كيف أن سلطة الصوت المفرد للخطاب الاستعماري "تتراجع" من خلال التهجين المتعمد للغة . عندما تصبح اللغة الاستعمارية مشبعة بـ "أثر" لغة المستعمر ، فإن ازدواجيتها تصيب أنظمة التمثيل والسيطرة الخاصة بها ، مما يقوض فعليًا صرح الاستعمار الكامل للسلطة / المعرفة .

تم تبني عمل بهابها حول التهجين الثقافي بشغف من قبل عدد من الجغرافيين الثقافيين ، ربما بسبب تطويره لمفهوم "الفضاء الثالث" . تأخذ فكرة الفضاء الثالث مفهوم التهجين إلى مستوى آخر من المقاومة ، مما يفترض وجود مساحة "إزاحة" مجردة تتدخل في أنظمة السلطة الاستعمارية ، وهي مساحة تنتقد الجوهرية ومفاهيم الثقافة الأصلية ، وبالتالي تعطيل المهيمنة بشكل فعال وإضفاء الطابع الأساسي على السرديات الوطنية للمكان والزمان . بالنسبة لبهابها ، فإن أحد المكونات الحاسمة لهذه المساحات المزاحة هو التناقض - تجنب الاكتمال أو الإغلاق ، وفكرة وجود شيء (أو مساحة) يحمل نقيضه بداخله . بعد مناقشة دريدا للغة ، نظر بهابها إلى "الدلالة غير المكتملة" ، أو الأماكن التي تكون فيها الروابط في المعنى غير مكتملة ومستمرة (لا يمكن للدال أن يتصل بالضبط بالمدلول بسبب "الفائض غير القابل للاختزال للنحو فوق الدلالي") ، وربط هذا بمساحات الأمة التي هي أيضًا غير مكتملة أو دائمًا قيد التنفيذ بالفعل . من أجل مناقشة معاني السلطة الثقافية والسياسية في الأمة ، اعتقد بهابها أنه من الضروري دراسة تكوين الأمة في فعل التكوين نفسه . استجاب فضاء الأمة في فعل تكوينها يتيح تغيير روايتها المهيمنة . بالنسبة إلى بهابها ، هذه المساحات الإجرائية غير المكتملة هي المساحات المتناقضة ، "البينية" للهوامش التي تسمح بالتدخل والمقاومة في سرد الأمة على أنها أصيلة وكاملة .

استنشق العديد من الجغرافيين فكرة الفضاء الثالث ، بما في ذلك إدوارد سوجا (1996 ، 5) ، الذي سعى إلى فتح خيال جماعي مكاني من خلال استراتيجية نقدية تتمثل في "ثيردينج كآخر". على الرغم من أن Soja استخدم المصطلح بشكل إيجابي ، فقد انتقد الكثيرون المفهوم أيضاً على أساس أنه يعتمد على التجريد بعيداً عن العلاقات والممارسات الاجتماعية المادية المتأصلة في الإنتاج الفعلي للفضاء . (Sparke 2005) علاوة على ذلك ، فإن قراءات يهابها الاحتفالية لإمكانية وجود مساحة ثالثة كموقع للسلطة المضادة واستخدامه المجازي للغة الفضاء تتعرض لخطر استبعاد السرديات الارتدادية القادمة " من " الهوامش المتناقضة وكذلك الاستيلاء على المفهوم نفسه لغايات سياسية وغير سياسية أو رجعية (ميتشل 1997). كان النقد الأخير موجهاً إلى خطاب التهجين بشكل عام ، وعده فكرة مفرطة في التفكير وعديمة المعنى تم طرحها بطريقة تهنئة ذاتية من قبل أقلية نخبوية للغاية من مثقفي " العالم الثالث " في الشتات ، والذين تم استبعادهم بشكل ميؤوس منه من الحقائق والمادية اليومية ومشاكل ومصالح مجتمعاتهم (فريدمان 2000).

ومع ذلك ، فإن مفهوم التهجين لم يظهر فقط بشكل بارز في الأعمال الأكاديمية في أواخر القرن العشرين ، ولكنه ظهر أيضاً بشكل كبير في الأدب والموسيقى والثقافة الشعبية . في روايات مثل The Satanic Verses و My Beautiful Laundrette و White Teeth ، يستكشف Rushdie و Kureishi و Smith الهويات المجزأة والمتناثرة للموضوعات الهجينة أثناء تفاوضهم على التضاريس المتغيرة لعالم متنقل إلى حد كبير والشتات . بالاعتماد على أيقونات الثقافة الشعبية مثل هذه ، وكذلك على تجاربهم الخاصة كمواضيع مختلطة ومشتتة ، استكشف كل من ستوارت هول وبول جيلروي موضوع التهجين من خلال عدسة الهوية وتشكيل الذاتية في أواخر العصر الحديث . تدور مساهمات هول (1990 ، 1992) بشكل أساسي حول مفهوم الهيمنة وضرورة تشكيل تحالفات عبر الاختلاف . بالاقتران من منظرين متباينين مثل غرامشي ودريدا ولاكان ، ومع ذلك ظلوا ملتزمين بشدة بمعارضة سياسية قوية للتأثيرية وأيديولوجية الليبرالية الجديدة بشكل عام ، جادل هول ليس فقط من أجل الاعتراف بالتعددية والتناقض في تشكيل الهوية ولكن أيضاً لضرورة تشكيل هيمنة مضادة بغض النظر عن الاختلافات . بصفته أحد " الأنبياء المعاصرين العظماء للتهجين " (Werbner 2000 ، 13) ، كان هول بلا كلل في دعوته إلى حملة براغماتية ، هجينة ، محدودة ، لكنها ملتزمة ضد الخراب والاضطرابات التي سببتها رأسمالية السوق الحرة في الماضي لعدة عقود .

مثل هول ، يركز عمل جيلروي على التهجين (1993) على أسئلة الهوية ، وينظر بشكل خاص إلى التكوين الذاتي لمواضيع السود في الشتات في سياق الحركة ذهاباً وإياباً عبر المحيط الأطلسي . يوضح في هذا العمل مفهوم "الوعي المزدوج" ، حيث تعطل الأصوات والممارسات الثقافية المقاطعة من الهوامش سرديات الحداثة والعرق وتخلق وعياً مزدوجاً ، أو موضوعاً منقسماً ، للفاعلين المشاركين في الحركة . في بيئة جغرافية مختلفة ، تدرس غلوريا أنزالدا (1987) ونستور كانكليني (1995) أيضاً العمليات المترابطة للتهجين الثقافي والحداثة التي تحدث في الحركات العابرة للحدود الوطنية مثل هذه . لقد استكشفوا ، جنباً إلى جنب مع عدد متزايد من الجغرافيين الثقافيين ، الآثار الثقافية للتهجين "المعولم" ، ليس فقط على الأمة أو على تكوين الهويات الفردية أو الجماعية ، ولكن أيضاً على المشهد المادي ، على الهندسة المعمارية ، والموسيقى ، واللغة ، وإنتاج الحرف اليدوية المحلية ، والفولكلور وجميع المنتجات والممارسات الثقافية الأخرى الناشئة عن عمليات التخصيب العابرة للحدود .

عاد مفهوم التهجين أيضاً إلى خارج الساحة الثقافية . في المجال الفرعي للجغرافيا الاقتصادية ، اقترح جيبسون جراهام (1996) أن مفهوم التهجين قد يكون مفيداً فيما يتعلق بالاقتصاد . مع ملاحظة أن التمثيلات الأكاديمية للرأسمالية تميل إلى بناء نظاماً موحداً وقوي بالكامل ، مع غائبة محددة سلفاً على ما يبدو ، يجادلون بأن هذا التمثيل الخطابي ، في حد ذاته ، يجسد الرأسمالية ويضيف إلى قوتها وسلطتها . إنهم يدافعون ، بدلاً من ذلك ، عن جدول أعمال بحثي وتحليلي يبرز التهجين الاقتصادي - وهو نمط استطرادي للتمثيل يهتم بالعديد من الانقسامات والفجوات والمنطق المضاد داخل الرأسمالية ، فضلاً عن العديد من الأشكال الاقتصادية

غير الرأسمالية وشبه الرأسمالية الموجودة بمعزل عن الرأسمالية نفسها أو في حالة توتر إبداعي معها (ينظر أيضًا Yang 2000 و Blim 1996).

من المجالات الرئيسية الأخرى التي ازدهر فيها مفهوم التهجين العلاقات بين الطبيعة والمجتمع . قام الجغرافيون البيئيون ، مثل نيل سميث (1996) وإريك سوينجدو (1999) وسيندي كاتز (1998) ، بالتحقيق في حدود تقسيم الطبيعة / المجتمع ، ودعوا عمومًا إلى تكامل نظري أكبر ، وجادلوا ضد الأطر المفاهيمية التي تميل إلى الفصل وينقي الأشياء إلى فئات منفصلة . بالاعتماد على نطاق واسع على أعمال دونا هارواي (1991) وبرونو لاتور (1993) ، اللذين كانا مهتمين بإظهار الأشكال العديدة التي اتخذتها الأنواع الهجينة من جميع الأنواع ، بما في ذلك تلك التي تجمع بين الموضوعات والأشياء أو الأشخاص والأشياء ، **يصر الجغرافيون البيئيون على الترابطات الأساسية والديالكتيكية بين الأشياء الطبيعية والأشياء الاجتماعية ، وعدم انفصال المجتمع والطبيعة ، والإنتاج المستمر والحتمي للطبيعة الاجتماعية كعملية .**

لقد كانت الهجينة مفهومًا مهمًا لتنتيخ الأثار المفيدة والمتجاوزة عمومًا للمخاليط من جميع الأنواع . في النقد الأدبي ودراسات ما بعد الاستعمار ، خدم كمفهوم فعال لمقاومة المفاهيم النظرية الثابتة والمنفصلة ، وكذلك لإضفاء الطابع الأساسي على سرديات الأمة والعرق . في مناطق أخرى ، كان أيضًا بمثابة نقد لاذع للثنائيات الحدائية والافتراضات المعيارية القائمة على المفاهيم القديمة للفصل والخطية . إذا تم وضع النظرية كعملية ، وترتكز على علاقات وسياقات مادية فعلية ، فإن التهجين يمكن أن يظل مفهومًا نظريًا مهمًا ومفيدًا ، ومساحة محتملة يمكن أن يحدث فيها التحول ، ويحدث بالفعل .

KEY REFERENCES

- Bakhtin, M. 1981. *The Dialogic Imagination* (trans. by C. Emerson and M. Holquist). Austin, University of Texas Press.
- Bhabha, H. ed. 1990. *Nation and Narration*. London, Routledge.
- Gilroy, P. 1993. *The Black Atlantic: Modernity and Double Consciousness*. Cambridge, MA, Harvard University Press.
- Hall, S. 1992. New ethnicities, in J. Donald and A. Rattansi eds. 'Race', Culture and Difference. London, Sage, 252–259.
- Young, R. 1995. *Colonial Desire: Hybridity in Theory, Culture and Race*. London, Routledge.

OTHER REFERENCES

- Anzaldúa, G. 1987. *Borderlands/La Frontera*. San Francisco, Spinster/ Aunt Lute Press.
- Bhabha, H. 1985. Signs taken for wonders: questions of ambivalence and authority under a tree outside Delhi, May 1817, *Critical Inquiry*, 12, 1: 144–165.
- Blim, M. 1996. Cultures and the problems of capitalisms, *Critique of Anthropology*, 16:1, 79–93.
- Canclini, N. 1995. *Hybrid Cultures: Strategies for Entering and Leaving Modernity* (trans. by C. Chiappari and S. Lopez). Minneapolis, University of Minnesota Press.
- Friedman, J. 2000. Global crises, the struggle for cultural identity and intellectual porkbarrelling: cosmopolitans versus locals, ethnics and nationals in an era of de-hegemonization, in P. Werbner and T. Modood eds. *Debating Cultural Hybridity: Multi-cultural Identities and the Politics of Anti-racism*. London, Zed Books, 70–89.
- Gibson-Graham, J. K., 1996. *The End of Capitalism (As We Knew It): A Feminist Critique of Political Economy*. London, Blackwell.
- Hall, S. 1990. Cultural identity and diaspora, in J. Rutherford ed. *Identity: Community, Culture Difference*. London, Lawrence and Wishart, 222–237.
- Haraway, D. 1991. *Simians, Cyborgs and Women: The reinvention of nature*. New York, Routledge.
- Latour, B. 1993. *We Have Never Been Modern* (trans. by C. Porter). Cambridge, Mass, Harvard University Press.
- Katz, C. 1998. Whose nature, whose culture? Private productions of space and the preservation of nature, in B. Braun and N. Castree eds. *Remaking Reality: Nature at the End of the Millennium*. London, Routledge, 40–63.

- Mitchell, K. 1997. Different diasporas and the hype of hybridity, *Environment and Planning D: Society and Space*, 15: 533–553.
- Smith, N. 1996. The production of nature, in G. Robertson, M. Mash, L. Tickner, J. Bird, B. Curtis and T. Putnam eds. *FutureNatural: Nature, Science, Culture*. London, Routledge, 35–54.
- Soja, E. 1996. *Thirdspace: Journeys to Los Angeles and Other Real-and-Imagined Places*. Cambridge, Blackwell.
- Sparke, M. 2005. In the Space of Theory: Postfoundational geographies of the nation-state. Minneapolis, University of Minnesota Press.
- Swyngedouw, E. 1999. Modernity and hybridity: nature, regeneracionismo, and the production of the Spanish waterscape, 1890–1930, *Annals of the Association of American Geographers*, 89, 3: 443–465.
- Werbner, P. 2000. Introduction: the dialectics of cultural hybridity, in P. Werbner and T. Modood eds. *Debating Cultural Hybridity: Multicultural Identities and the Politics of Anti-racism*. London, Zed Books, 1–26.
- Yang, M. M. 2000. Putting capitalism in its place, *Current Anthropology*, 41, 4:477–494.